ثانيا– العصر الحجري القديم الأوسط: الحضارة الموستيرية العاترية

*– تمهيد: لم يستعمل الباحثون الغربيون في التمييز والفصل بين مرحلة العصر الحجري القديم الأسفل والعصر الحجري القديم الأوسط إلا بعض الدلائل الخاصة والطفيفة لأن عملية الفصل هذه ليست إلا لأسباب تزمنية بحته وحتى يكون هناك فاصل زمني بسيط يحول دون الامتداد الشاسع لمرحلة العصر الحجري القديم الأسفل ولقد كان لهم في التغيير الذي طرأ على صناعة الأدوات الحجرية مبررا لهذا التخصيص ذلك أنهم لاحظوا بأن الشظايا التي تتطاير عادة أثناء عملية التشظية التي تمارس لدى صناعة الأدوات هي التي بدأت تحتل مكانة هامة في الصناعات الحجرية حيث بدأ الصناع يحدثون عليها بعض التشذيبات الجانبية بطرق وتقنيات خاصة وأصبحت تنتج بصفة منتظمة لمختلف الاستعمالات.

هذا التطور في صناعة الأدوات الحجرية كان قد بدأ في الظهور أثناء العصر الحجري القديم الأسفل مع المراحل الأخيرة للصناعة الأشولية والذي يرجح أن تكون بداياته انحسارية وأوائل المرحلة الجليدية الأخيرة أي فيما بين 70 ألف سنة و 20 ألف سنة الأخيرة وهي فترة 50 ألف عام امتد خلالها هذا العصر التي ساد فيها من الناحية الباليولوجية البشرية الانسان القديم وهكذا يدخل عصر تقنيات صناعية حجرية جديدة فبعد التقنيات الحصوية والتقنيات الأشولية يدخل عصر التقنيات التي أطلق عليها الغربيون أسماء من محلاتهم الأثرية ما قبل التاريخية أيضا وهي التقنيات اللفالوازية و الموستيرية.

تدل تقنيات نحت الحجارة في العهد الآشولي أن الصانع كان مهتما بإعداد الحصاة أو النواة بطريقة مكنته أحيانا من استخراج أدوات معينة مرسومة في ذهنه مثل: البليطة ولقد شاع هذا الاهتمام بالإعداد في صناعة الأسلحة والأدوات طيلة العصر الحجري القديم الأوسط. إن هذه المرحلة التي لايزال تاريخها غير مؤكد قد ازدهرت خلالها في بلاد المغرب حضارتان غير متساويتان في الأهمية ولكنهما مرتبطتان بعلاقات متينة ويعني بهما الحضارة الموستيرية والحضارة العاترية ويحتمل كثيرا أن هذه الأخيرة أكثر حداثة من الموستيرية واستمدت هذه الحضارة إسمها من موقع موستير بالدردون بفرنسا وهي جد معروفة في أوروبا ولقد سمحت دراسة العديد من مواقعها

بتمييز سماتها وأنواعها ومعرفة الانسان الذي شيدها وهو إنسان النيوردنتال. إن مواقع هذه الحضارة في بلاد المغرب نادرة ويعرف منها في تونس موقع واد العقارب بالغرب من قابس وموقع القطار قرب قفصه.

أما في الجزائر فإلى بعض مواقع الأطلس الصحراوي التي لاتزال معرفتنا بها محدودة نذكر موقع حضارة تيمية قرب واد رهيو بحوض الشلف.

أما في المغرب الأقصى فإن موقع جبل أرحود يعد من المواقع الموستيرية الهامة بما احتواه من بقايا بشرية هامة زيادة على الأدوات الحجرية وعلى عكس المواقع الموستيرية فإن المواقع العاترية كثيرة العدد والانتشار في جميع بلاد المغرب والصحراء ومن أهمها نذكر: موقع بير العاتر بتبسة الذي أشتق منه اسم هذه الحضارة.وموقع قرار بعين تاقورايت بعين طاية وفي المغرب الأقصى مغارة تافورالت وشال بوجدة.

*- الأدوات الحجرية: يتطلب إعداد النواة من الصانع خلال العصر الحجري القديم الأوسط أن يقوم بسلسلة من الحركات المعقدة عرفت بالطريقة اللافلوازية مشتق من موقع لوفالوابيري بفرنسا ولقد استعملت هذه الطريقة من طرق الموستريين والعاتريين لصناعة أدواتهم الحجرية وكان ممكنا الحصول على شفرات ومخارز لفلوازية بإجراء تعديلات ثانوية في إعداد النواة وتجدر الإشارة الى أن التقنية اللفلوازية لم تكن وحدها التي استعملت في تلك المرحلة إذ أن إنسان العصر الحجري الأوسط قد تحصلوا على شظايا وشفرات ومخارز من نواة لم يعرضوها لإعداد خاص.من أهم الأدوات الموستيرية والعاترية المكاشط والمخارز وفي الحضارة الموستيرية تضاف إليها المحكات وتكمن أصالة الصناعة العاترية في أن الصناع قد جعلوا لبعض أدواتهم ذنبات (امتداد طولي أسفل الشكل) وقد تحصلوا عليها بإحداث تحزيزات في قاعدة الأداة.

*- البشر وبيئتهم: على الرغم من كثرة المواقع العاترية لا يوجد من بينها موقع احتفظ ببقايا بشرية وكان الأمر كذلك الى وقت قريب بالنسبة للمواقع الموستيرية القليلة إذ عثر مؤخرا بمغارة جبل أرحود بالمغرب الأقصى على جمجمتين وجزء من جدار جمجمة ضمن أدوات موستيرية متميزة تعود الى إنسان النيوردنتال تظهر الملامح العامة له بوضوح في متحجرات جبل أرحود حيث أن الجمجمة قصيرة ومستطيلة يقترب حجمها من 1500 سم3 ووجد في أوروبا مثيلتها إلا أن محاجم

العيون كبيرة ومستديرة ومتباعدة يعلوها بروز عظمي متواصل يمتد الى جانبي الوجه، الجبهة قصيرة والفك الأعلى متقدم ويتصف عضد الدماغ الخلفي بالانبساط والاستطالة.

إن ما أكتشف بجبل أرحود ذو أهمية كبرى ذلك أنه يكمل سلسلة المتحجرات البشرية التي تكون انطلاقا من إنسان الأطلس العاقل الأساس الأنثروبولوجي لإنسان المغرب في ما قبل التاريخ.

المراجع:

عاصم محمد رزق، علم الآثار بين النظرية والتطبيق، مكتبة مدبولي، 1996

ضو جورج وترجمة بهيج شعبان، تاريخ علم الآثار، دار منشورات بيروت، بدون تاريخ

روبرت سيلفر برق، ترجمة الدكتور محمد الشحات، الآثار الغارقة، بيروت، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1965

حسن ابراهيم عبد القادر، وسائل وأساليب ترميم وصيانة الآثار ومقتنيات المتاحف الفنية، مطبوعات جامعة الرياض، **1979**

– أسد رستم، مصطلح التاريخ.

– عبد الواحد ذنون طه، أصول البحث التاريخي.

– كمال حيدر، منهج البحث الأثري والتاريخ.

– عمر محمد زيان، البحث العلمي مناهجه وتقنياته.

– قاسم يزبك، التاريخ ومنهج البحث التاريخي.

– بوحوش عمار، دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية.

– أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه.